مجلة الجامعة القاسمية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

المجلد: 4، العدد: 1

ذو الحجة 1446 هـ / يونيو 2025م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات: 2958-230X

AQU Journal of Arabic Language and Literature, Vol. 4 No. 1, pp. 193-202 (June.2025)
DOI:10.52747/aqujall.4.1.438
E-ISSN: 2958-2318/ ISSN: 2958-230X

مراجعة كتاب "العرب وسردينيا" لأنجيلا دايانا لانغونِه وجوليانو ميون.

BOOK REVIEW: "ARABS AND SARDINIA" BY ANGELA DAIANA LANGONE AND GIULIANO MION(1)

محمد المزطوري

الجامعة القاسمية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

Mohamed Maztouri

Al Qasimia University, Sharjah, UAE

الملخص:

يقدّم العمل مراجعة لكتاب "العرب وسردينيا" لمؤلّفَيه أنجيلا دايانا لانغونِه وجوليانو ميون. وهو دراسة علميّة باللّغة الإيطاليّة تعرض إلى تاريخ العلاقات بين العرب وجزيرة سردينيا الإيطاليّة من منظور استشراقيّ مختلف يركّز فيه المؤلّفان أكثر على الأثر الذي تركه العرب في الجزيرة، مع بيان زوايا نظر مختلفة للعرب الذين كان لهم اتّصال بجزيرة سردينيا، فقد تنوّعت المصادر المعتمدة في الكتاب بين المؤلّفات التّاريخية وأدب الرّحلة القديم والحديث والمؤلّفات الأدبيّة والموسوعات. ويحاول هذا العمل (المراجعة) عرض الكتاب وأبوابه وتبسيط محتواه للقارئ من خلال توضيح أهمّ أفكاره وأطروحاته وما يميّزه، دون إغفال مناقشة محتوياته وتصوّراته ليقدّم إضافة إلى المعرفة في باب الدّراسات الاستشراقيّة التي اهتمّت بالثّقافة العربيّة وأثرها في غيرها من الثّقافات، خاصّة أنّ هذا الكتاب يبدو مختلفا في طرحه عن الموروث الاستشراقيّ الذي لم يخصّص كثيرا من أعماله لبيان الأثر العربي الإيجابيّ في أوروبا والغرب عامّة

(1) Article received: March 2025, article accepted: April 2025.

Abstract:
This work presents a review of "Arabs and Sardinia" by Angela Daiana Langone and Giuliano Mion. It constitutes a scholarly study in Italian that examines the history of relations between Arabs and the Italian island of Sardinia from a distinct orientalist perspective, in which the authors focus more on the impact that Arabs left on the island, while presenting different perspectives of Arabs who had contact with Sardinia. The sources utilized in the book diversified between historical works, ancient and modern travel literature, literary works, and encyclopedias. This work (the review) attempts to present the book and its chapters while simplifying its content for the reader by clarifying its most important ideas, theses, and distinguishing features, without neglecting to discuss its contents and perspectives in order to provide an addition to knowledge in the field of orientalist studies that have dealt with Arab culture and its influence on other cultures. This is particularly significant as this book appears different in its approach from the orientalist tradition that has not allocated much of its work to demonstrating the positive Arab impact on Europe and the West in general.

الكلمات الدالة: العلاقات العربية–الأوروبية، سردينيا، الدراسات الاستشراقية، التبادل الثقافي، تاريخ المتوسط، الجغرافيا الثقافية، أدب الرحلة العربي، التأثير الحضاري

Keywords: Arab-European relations, Sardinia, orientalist studies, cultural exchange, Mediterranean history, cultural geography, Arabic travel literature, civilizational impact

المقدّمة

يندرج الكتاب ضمن الكتابات الاستشراقيّة الحديثة. ويشتمل على 228 صفحة من الحجم المتوسّط. ويعتمد المؤلّفان اللّغة الإيطاليّة في تحرير الكتاب في أسلوب واضح ومبسّط. منشور ضمن منشورات جامعة كالياري UNICApress، سلسلة "ذاكرة سردينيا". سنة نشره: 2025. يتعلّق الكتاب بتاريخ العلاقات بين جزيرة سردينيا الإيطاليّة والعالم العربي، وأوّل ميزة للكتاب تشجّع على عرضه ومراجعته أنّ البحث في هذا المجال نادر وقليل في الدّراسات العربيّة والاستشراقيّة لأنّ أغلب من اهتمّ بدراسة الحضور العربي خارج الجغرافيا العربيّة وجّه جهده إلى الأندلس.

والكتاب متاح ورقيّا، وكذلك إلكترونيا بقاعدة البيانات المفتوحة[1]. وينقسم إلى جزئين:

يغطّي الجزء الأول العلاقة بين العرب وسردينيا في العصور الوسطى، في حين يرتبط الثّاني بدراسة هذه العلاقة منذ القرن التّاسع عشر إلى اليوم. ويقدّم الكتاب نظرة استشراقيّة جديدة، ومخصوصة، وطريفة لعلاقات التأثير والتأثّر بين العرب وجزيرة سردينيا الإيطاليّة التي تقلّ دراسة الأثر العربي فيها لصالح الأندلس وجزيرة صقلّية التين اهتمّ بهما الدّارسون أكثر.

– الجوانب المضمونيّة: محتوى الكتاب

اعتمد الكتاب تمشّيا زمنيّا diachronic، من خلال محاولة إجراء مسح تاريخيّ لطبيعة هذه العلاقة وأطوارها وتقلّباتها. ولعلّ الميزة الثّالثة للكتاب، أنّه اعتمد في دراسته تجارب طبقات اجتماعيّة مختلفة؛ بين أدباء ورحّالة وأشخاص عاديّين كان حضورهم في جزيرة سردينيا مرتبطا بقضاء شؤون خاصّة، أو لغايات ذاتيّة وشخصيّة، وهو ما يوسّع دائرة العيّنات التي اعتمدها الكتاب ويفتح أفق النتائج التي يمكن أن يتوصّل إليها، لتكون

(1) Langone, Alessandro, and Giovanni Mion. Gli arabi e la Sardegna: Un'introduzione. Cagliari: Università di Cagliari, 2025. https://hdl.handle.net/11584/439685

أشمل وأدقّ وأكثر واقعيّة، فلا تكتفي بنموذج واحد رسميّ يمكن أن يحجب تجارب أخرى خاصّة قد تغيّر النتائج أو تنسّبها. وقد سعى المؤلّفان إلى تبرير اختيارهما لسردينيا من خلال عوامل عديدة، منها ما ذكراه: "اجتهد المؤرخون العرب في العصور الوسطى في تسجيل الأحداث المتعلقة بشمال إفريقيا ونقلها، كما المناطق المجاورة التي تدور في فلك تلك المنطقة، ولكننا نجد في كثير من الأحيان معلومات عن سردينيا تتألف من مقاطع مقتضبة للغاية، تقتصر على بضعة أسطر أو بضع جمل..."[1].

– أقسام الكتاب ومنهجيّته:

تتّبع بنية الكتاب تقسيما زمنيّا إلى فترات، فصاحباه يجعلان البحث يختصّ بفترتين كبيرتين؛ يدرس جزؤه الأوّل العصور الوسطى، أمّا الجزء الثّاني فيهتمّ بالعصر الحديث حتى يومنا هذا.

حاول المؤلّفان في الجزء الخاص بالقرون الوسطى ترتيب ما يُعرف بـ"غزوات الأغالبة والفاطميين من إفريقية في اتّجاه جزيرة سردينيا"، منذ بداياتها حتى الأحداث الشهيرة المتعلقة بقائد طائفة دينيّة عرف باسم المجاهد ابن عبد الله العامري، القائد الذي تنسب إليه فترة الفتح القديم للجزيرة. ويتتبّع الكتاب مراحل هذا الفتح وتحليل آثاره بأنواعها المختلفة. وفي إطار شمول النّظرة يعرض الكتاب أيضا إلى شهادات مختلفة تماما عن الرّواية التّاريخية الرّسمية، وهي شهادات توثّق صورة سردينيا لدى الرحّالة والجغرافيين العرب في القرون الوسطى الذين وصفوها في أعمالهم.

أما الجزء الخاص بالحداثة، فسيجد القارئ فيه مصادر عربيّة تاريخيّة، وأدبيّة تعرض إلى جزيرة سردينيا، مما يتيح التعرّف على قصص بعض سكّان سردينيا الذين سافروا إلى بلاد المغرب العربي، وعلى قصص عرب وفدوا إلى الجزيرة.

---

(1) ترجمة عن الأصل الإيطاليّ.

كما يقدّم الكتاب للقارئ ما تفيد به الموسوعات العربيّة الحديثة في علاقة بسردينيا، منها على سبيل المثال؛ موسوعة بطرس البستاني بعنوان "دائرة المعارف". وسيجد القارئ بعد ذلك قصصا عن القراصنة والعبيد، في ما يشبه المؤلّفات التي تعود إلى مرحلة القرون الوسطى.

ولكن، باتباع الخط الزمني، سيلتقي القارئ أيضا بمسافرين عرب زاروا سردينيا ودفعتهم شؤونهم الشخصيّة، واحتياجاتهم الخاصّة، أو حبّ الاستطلاع فقط لزيارة الجزيرة. وفيما يخص أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فسيجد القارئ قصصا لأناس أقحموا أنفسهم في بعض المشاكل المرتبطة بإيطاليا وسردينيا من جهة، وبلاد المغرب العربي من جهة أخرى. وأخيرا، يمثّل الفصل الأخير من الكتاب إشارة إلى الأدب العربي المعاصر، حيث سيكتشف القارئ سردينيا المتخيّلة، وليست حقيقيّة، لكنّها موصوفة في رواية جزائريّة معاصرة حيث الجزيرة تجد نفسها في جوهر مسألة الهجرة من بلاد المغرب العربي إلى أوروبا.

– أهداف الكتاب ومميّزاته:

يهدف هذا الكتاب حسب قول مؤلّفَيه إلى أن يكون مقدمة للراغبين في دراسة العلاقات بين جزيرة سردينيا الإيطالية والعالم العربي، منذ العصور الوسطى وحتى يومنا هذا، ويقدّم لمحة عامة عن القضايا التاريخية واللغوية والأدبية الرئيسيّة.

لعلّ الميزة التي يذكر المؤلّفان أنّ الكتاب يختصّ بها، بالنّظر إلى أنّه ليس الكتاب الوحيد في هذا المجال ولا الأوّل، أنّه يقارب المسألة من وجهة نظر عربيّة كون مؤلّفاه متخصّصين في اللّغة العربيّة وآدابها، وليس من منظور أوروبي كما هو حال باقي الدّراسات التي عرضت إلى هذا الموضوع. من ميزات الكتاب أيضا أنّه يقارب المسألة من وجوه مختلفة مثل الجانب اللّغوي واللّساني القائم في المفردات والألفاظ والعبارات التي تبيّن تأثّر المجتمع في جزيرة سردينيا باللّغة العربيّة وخاصّة لهجات بلدان المغرب العربي، ومثل الجانب

الأنتروبولوجي القائم في التّاريخ والأسطورة وما يحفلان به من قصص وعادات وتقاليد وفلكلور فيه كثير من التّشابه بين بعض المجتمعات العربيّة وبين المجتمع في سردينيا؛ ومن ذلك مكوّنات الطّعام وبعض تسمياته واللّباس وبعض الطّقوس الاجتماعيّة، وقد خصّص مؤلّفا الكتاب قسما وَسَمَاهُ بـ"الطّقوس الشّعبية".

لعلّ من مظاهر الطّرافة والجدّة في الكتاب أنّه يعرض لعلاقات التّأثير والتأثّر، ولكنّه يتخصّص بصورة أدقّ في دراسة تأثّر مجتمع جزيرة سردينيا بالعالم العربي، وهو أمر طريف لأنّ القارئ تعوّد أن يجد دراسات تحاول تأكيد تأثّر العالم العربي بأوروبا وتلحّ على هذا التأثّر من كتّاب أوروبيّين وخاصّة عربًا. ولا تخفى هذه النّظرة المعجَبَةِ بالثّقافة العربيّة وأعلامها في قول الكاتبين: "ويزداد الأمر سهولة إذا ما فكرنا في أن عالما عربيًا نشط في صقلية هو الإدريسي (ت 1165) هو الذي تدين له البشرية بواحد من أكثر الأعمال الجغرافية روعة على الإطلاق: كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بهجة المولعين بالتجوال في العالم)، وهو ملخص ضخم للجغرافيا البطلمية بتكليف من الملك روجر الثاني (1095-1154)، وهو في الواقع معروف أكثر باسم كتاب روجر. ويشهد هذا العمل على تداخل الثقافة العربية الإسلامية [بجزيرة صقلّية]، بالمعنى الأوسع الممكن، وعلى المكانة التي كان يتمتع بها العلم العربي في ذلك الوقت، في صقلية التي كانت تستعد لأرشفة مرحلتها العربية"[1].

والطّريف أيضا أنّ الكتاب يختار نموذجا لمكان قلّ الحديث عن تأثّره بالثّقافة العربيّة بالنّظر إلى أنّ التّركيز في هذا الموضوع تعلّق على الدّوام بجزيرة صقلّية المحاذية لسواحل بلدان المغرب العربي والأقرب لها تاريخيّا بسبب الدّراسات التي كُتبت عن الموضوع.

(1) ترجمة عن الأصل الإيطالي.

يكشف الكتاب إذا عن وجوه لطيفة وطريفة وغير مدروسة من تأثّر فضاء أوروبي آخر مختلف (جزيرة سردينيا) بالثّقافة العربيّة لم يجد طريقه إلى الدّراسة والاكتشاف في العصر الحديث خاصّة قبل هذا الكتاب.

كما أنّ الكتاب يحاول الجمع بين أنواع الاتّصال والتّواصل المتنوّعة بين العالم العربي وجزيرة سردينيا الإيطاليّة؛ فمنها ما كان متّسما بالصّلابة والقوّة (الحملات العسكريّة خاصّة) ومنها ما ارتبط بالتأثير النّاعم مثل؛ التّجارة، والسّياحة، من مثل ما جاء في كتب أدب الرّحلة. كما يتناول الكتاب محاور مهمّة في العلاقة التي يدرسُ، فيقسّمها تقسيما منهجيّا إلى آثار مادّية وأخرى رمزيّة ويعطي أمثلة من الآثار كالقطع الأثريّة ذات الأصل العربي، وهو أمر مستجدّ ومهمّ في بابه، إذ إنّه يعيد كتابة تاريخ العلاقات بين العرب وأوروبا ويُنصف إذا صحّ التّعبير الإرث العربي وتاريخه من خلال الاعتراف بريادة العرب في أزمنة قديمة في مجالات العمارة والآثار. كما لا يغفل الكاتبان أهمّية التّأثير اللّغوي الذي تركه الحضور العربي في جزيرة سردينيا، كما سبق ذكره. ويتميّز الكتاب بأنّه لا يتوقّف عند الجوانب النّظرية، بل يثري مضمونه بأمثلة واقعيّة لما يقدّم؛ من ذلك أسماء الرّحالة العرب الذين وثّقوا زياراتهم إلى الجزيرة؛ كابن بطّوطة، والشّريف الإدريسي.

وينوّع الكاتبان من الأمثلة التي تعرض صور الجزيرة في المخيال العربي والشّهادات التّاريخية العربيّة من مداخل متنوّعة في العصور الحديثة، من ذلك ما ذكراه عن تجارب عربيّة مشرقيّة ومغاربيّة مثل؛ بطرس البستاني، وأحمد بن أبي الضّياف، وبيرم التّونسي، وعيسى النّاعوري مع ما في هذه التّجارب من ثراء وتنوّع لاختلاف منطلقاتها بين التّاريخي والحضاري والجغرافيّ والأدبي. ويقدّم الكتاب للمسألة التي يدرس بمقدّمات متنوّعة، منها التّاريخي المهمّ الذي يمهّد لسائر المقاربات ويوضّحها، من خلال تأصيل العلاقة بين العرب وسردينيا. يقول الكاتبان: "ولكن، على طول الطريق من الشرق الأدنى إلى القسطنطينية، كانت هناك أهداف ثانوية أخرى قد دخلت ضمن اهتمامات الفتوحات العربية

الإسلامية. وشملت هذه [الاهتمامات] الجُزُرَ، مثل قبرص ورودس وكريت وخيوس التي قاومت هجمات عديدة، أو جزيرة أرواد،..."[1].

يبدو الكتاب إذن، شاملا ومتنوّعا في مصادره التي يعتمد، وفي رؤاه التي يقدّم، وفي شهاداته التي يوثّق. وهو كتاب يجمع بين البعد الثّقافي، والاجتماعي، والتّاريخي التّوثيقي، والأدبي. ويحاول أن يغطّي فترات زمنيّة طويلة ومتباعدة، ولكنّها تشترك وتلتقي في خدمة الهدف الأساسي للكتاب، أي بيان ثراء صور جزيرة سردينيا في عيون العرب، وعلاقات التّأثير والتأثّر التي جمعت الجزيرة بالعالم العربي من زاوية نظر أكاديميّة، وعلميّة لمؤلّفين قريبين من الثّقافة العربيّة وملمّين بأسسها، وخاصّة لغتها، لما للّغة من أهميّة وأثر كبيرين في فهم الثّقافات والمجتمعات، لأنّ اللّغة تعدّ وعاء الثّقافة والنّاطق بلسانها. فالعمل قائم على تطوير النّظرة الاستشراقيّة التّاريخية للعرب وثقافتهم من منظور استشراقيّ جديد يحاول أن يكون موضوعيّا أكثر من سابقيه، كما يحاول تنويع مداخل دراسة العلاقات العربيّة الأوروبيّة من خلال تعديدها.

– مناقشة الكتاب:

لعلّه من العسير الظّفر بمآخذ كثيرة على هذا الكتاب، ليس لاكتماله وغياب النّقصان منه، فهو عمل بشريّ، ولكن ربّما لأنّه من الدّراسات الرّائدة في بابه من خلال اختلاف فكرته وزوايا نظره في عرض مسألة العلاقة بين العرب وجزء من القارّة الأوروبيّة عرضا جديدا. ولكنّ ذلك لا يلغي بعض الملاحظات؛ ومنها ما كان شكليّا، ولكنّه قد يكون مؤثّرا في تجويد الدّراسة وتدعيمها، من ذلك إدراجه مبحثا يهتمّ بنظرة الجغرافيين الأتراك لجزيرة سردينيا. فإذا كان منطلق المؤلّفَين تماثل الانتماء الدّيني للأتراك مع العرب في الإسلام وبذلك تقارب نظرتهم، فقد يكون ذلك غير مبرّر لأنّ الكتاب في مباحث

(1) ترجمة عن الأصل الإيطاليّ.

وفصول أخرى قد أدرج آراء عرب مسيحيّين في جزيرة سردينيا. فالمنطلق نظرة العرب على اختلاف معتقداتهم للجزيرة وعلاقتهم بها. ويجب أن يكون المنطلق موحَّدًا في البحث بأكمله. أمّا الأمر الآخر فهو المتعلّق بزوايا النّظر التي يقارب من خلالها المؤلّفان المسألة المدروسة وعلاقتها بعنوان الكتاب، فالأخير جاء مطلقا العرب وسردينيا، والواو في العربيّة تفيد الجمع دون ترتيب، أي أنّ المعلن عنه "دراسة علاقات التّأثير والتّأثّر بين العرب وجزيرة سردينيا"، ولكنّ محتوى الكتاب مال أكثر إلى عرض آراء العرب في جزيرة سردينيا والأثر العربي في الجزيرة بصفة عامّة، من محاور مختلفة كالثّقافة الشّعبية واللّغة. والأجدى أن يكون الكتاب مضارعا بين اتّجاهي التّأثير والتأثّر. ورغم أنّ زاوية النّظر التي اختارها الباحثان تخدم الثّقافة العربيّة وتنصفها، على خلاف ما عليه كثير من الدّراسات الاستشراقيّة، إلّا أنّ ذلك قد يكون أقوم علميّا ومنهجيّا بإضافة المبحث الذي ذُكِرَ والمتعلّق بأثر سردينيا في العالم العربي أو من خلال تعديل العنوان ليكون "أثر العرب في سردينيا".

لعلّ من المآخذ على الكتاب أنّه لم يفد بصورة مباشرة ممّا كتبه بعض المؤرّخين العرب حول سردينيا من مثل ابن الأثير في كتابه "الكامل في التّاريخ".

ومن الكتب الأخرى التي عرضت لجزيرة سردينيا، ولو بصورة مختصرة:

كتاب "مراصد العيون" لأبي حامد الغرناطي/ "سردينيا: تاريخ وثقافة" (ترجمة عربية)/ "جزيرة سردينيا: بين تاريخ البحر وتاريخ البشر"/ "سردينيا وأدب البحر الأبيض المتوسط"/ "عبر البحر: جولات في جزيرة سردينيا"/ "سردينيا... تاريخ البحر والمستقبل"/ "التاريخ العربي في سردينيا: دراسات تاريخية وثقافية"/ "سردينيا: بين الحروب الثقافية والهويات المتعددة".

كان يمكن للكتاب أن يوسّع النّظر في المسألة التي يعرض لها من خلال الإفادة من الكتب التي ذكرت أو غيرها لما تقدّمه من تصوّرات وأفكار قد تكون مختلفة عمّا ورد في

مراجع الكتاب. وهو ما يمكن أن يمثّل إضافة إلى الكتاب، علاوة على ما فيه من ميزات ذُكرت في بداية هذه المراجعة. فالكتاب مختلف في طرحه وفي تصوّراته وفي نتائجه. ويمكن أن يحصّل فوائد أكثر بتوسيع مدوّنة النّصوص التي يشتغل بها.

الخاتمة

بصفة عامّة، يمثّل الكتاب إضافة نوعيّة في مجاله من خلال الموضوع الذي يدرس وخاصّة زوايا النّظر التي بها يقارب المسألة، فالقارئ العربي، كما الأوروبي، لم يتعوّد استشراقيّة تدرس أثر الشّرق في العالم الغربيّ على لسان مستشرقين متخصّصين. كما أنّ المقاربات التي يطرحها الكتاب تعدّ مختلفة ومتنوّعة وثريّة، إذ تتجاوز الدّراسات التّاريخية والتّوثيقيّة إلى مجالات أرحب، رغم تركيزه على دراسة علاقات التأثير والتأثّر من جهة واحدة تقريبا. ولعلّ هذا المنهج البحثيّ يكون مضارعا ومقابلا لنزعة بحثيّة ظهرت في أوروبا في بدايات القرن الماضي ومنتصفه، تلك التي كرّسها باحثون من أصول عربيّة درسوا بأوروبا وكتبوا دراسات ذات خلفيّات استشراقيّة تدرس الحضارة العربيّة وأدبها من منظور يقترب من أسس المدرسة الاستشراقيّة التّقليدية، ولكنّه بأقلام باحثين أكثر ارتباطا بالثّقافة العربيّة لأنّهم من أبنائها في الأصل، من مثل؛ دراسات يوسف شلحود وتوفيق فهد وبشر فارس. فالكتاب دراسة لتأثّر جغرافيّة أوروبيّة بالثّقافة العربيّة من منظور مستشرقين تربطهم علاقة قويّة بالعالم العربيّ ومن المتخصّصين في دراسته.